خُلُقُ الأَنْبِيَاءِ - جعفر صادق جعفر

خُلُقُ الأَنْبِيَاءِ

بقلم: جعفر صادق جعفر

في الذكرى السّنوية الأولى لرحيل شيخنا المربّي النّاصح، سماحة الإمام الشيخ محمّد مهدي الخالصي (رحمه ا تعالى)، خطر ببالي ما ورد في القرآن الكريم عن نبي ا يوسف عليه السّلام، حين قيل له وهو في السّجن: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

وما قيل له حين أصبح على خزائن مصر: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فالمعدن الطيّب لا تغيّره المصائب، ولا تبدّله المناصب؛ لأن أصالة الإنسان تظهر في المحن كما تظهر في أوقات الرّخاء، ولا تتبدّل بتبدّل الأحوال.

وهذا ما تميّز به شيخنا الرّاحل، أعلى ا تعالى مقامه؛ فقد كان يقف وحيداً على منبره، معلناً الأحكام والمواقف التي كان من شأنها أن تعرّض حياته للخطر وتفضي إلى تصفيته، وهو ما تجلّى بوضوح حين صدر حكم الإعدام بحقه، وهو لا يزال في ريعان شبابه.

وحين جرى تهجير الأكراد من العراق بذريعة التّبعية الإيرانية، انتقد سماحته تلك السّياسة، ووصفها بالهمجية، ولم يتردّد في إعلان موقفه.

ويُروى أنّ أحد كبار مراجع النّجف الأشرف في ذلك الوقت كان يقول: «يجب أن نتحرّك، فهذا الشّيخ بعمر أحفادنا، ومع ذلك يقف ويتكلّم!».

وعندما بلغ سماحته ذلك، كان يقول: «نحن لا نريد زعامة، ولا منصباً، ولا ننازع أحداً، ولا نريد إلا الإسلام».

وكان ثمن مواقفه التّهجير والنّفي، لكن الله تعالى شاء أن يعود سماحته بعد أربعة عقود، وبعد أن تعرّض لمحاولات اغتيال متعدّدة، أنجاه الله منها بأعجوبة، ليجد نفسه أمام امتحان جديد، أشدّ على العراقيين من الامتحان الأول.

فبعد امتحان الشدّة والقسوة، جاء امتحان الرّخاء والسّلطة والامتيازات؛ وهو امتحان قد يسقط فيه كثيرون ممن صمدوا أمام المحن، وتجاوزوا ابتلاءات الشدّة.

غير أن معدن العلماء الصّادقين ظلّ يتجلّى في شخصيّة سماحته ومواقفه؛ فحذّر من الاحتلال الأمريكي ومكائده، ومن العملية السّياسية التي لم يرَ فيها إلّا مشروعاً لا يريد الخير للعراق، وظلّ ثابتاً على المبدأ الذي حمله قبل هجرته، مردّداً:

«لا نريد جاهاً، ولا منصباً، ولا ننافس أحداً على مرجعية، لا أريد إلا الإسلام».

وظلّ سماحته على هذا العهد، ثابتاً على مبدئه، حتى لقي ربّه في مثل هذا اليوم من عام 2025.

ذلك هو خُلُقُ الأنبياء، وذلك هو معدن العلماء الصّادقين؛ أن يبقوا أوفياء للمبدأ في زمن المحنة، كما في زمن التّمكين، وألّا تغيّرهم المصائب، أو تغريهم المناصب.

جزاك الله تعالى عنّا وعن المسلمين خير الجزاء، يا شيخنا وحبيبنا، وأسكن روحك الطّاهرة أعلى عليّين، وحشرك مع محمّد وآله الطّاهرين.

ج. ص. ج

22/11/2026